جامعة 8ماي1945قالمة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

ينظم: يوم: 21-03-2023.

يوم تكويني لفائدة طلبة الدكتوراه **حول:**إشكالية المنهج الفلسفي

**د/ كمال حاج علي**

**عنوان المداخلة: المنهج الوضعي: دراسة في الأسس والمنطلقات**

**مقدمة:**

إن أول من استخدم لفظ الوضعية هو هنري كونت سان سيمون، وكان يعني به استخدام الطريقة العلمية وتطبيقها على الفلسفة، وقد تبنى [أوجست](https://e3arabi.com/%d8%b9%d9%84%d9%85-%d8%a7%d9%84%d8%a7%d8%ac%d8%aa%d9%85%d8%a7%d8%b9/%d8%a5%d8%b3%d9%87%d8%a7%d9%85%d8%a7%d8%aa-%d8%a3%d9%88%d8%ac%d8%b3%d8%aa-%d9%83%d9%88%d9%86%d8%aa-%d9%81%d9%8a-%d8%b9%d9%84%d9%85-%d8%a7%d9%84%d8%a7%d8%ac%d8%aa%d9%85%d8%a7%d8%b9%d9%8a/) كونت هذا اللفظ وصاغ حوله نظرية فلسفية اجتماعية عامة انتشرت على نطاق واسع في بلدان العالم الغربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والعقود الأولى من القرن العشرين.

**1/ مفهوم المنهج الوضعي:**

أوغست كونت هو أول من وضع هذا الاسم وأطلقه على فلسفته، فهي فلسفة وضعية لأن كونت كان يؤمن بأن على العلم أن يمدنا بالقوانين التي نسيطر بها على الطبيعة، ولا سبيل إلى ذلك إلا باللجوء إلى التجربة. ومن ثم جاءت هذه الفلسفة ضرباً من التجريبية، وهي اجتماعية لأن روادها علماء اجتماع ولأنها ردت ناحية أخرى المعرفة، وصنوف الظواهر الأخرى إلى الحياة الاجتماعية. فقد رفض أصحاب هذا الاتجاه الفلسفي العقل مصدراً لتحصيل المعرفة على نحو ما زعم العقلانيون، وذهبوا إلى أن المبادئ الكلية الضرورية التي يقول بها الفكر العقلاني إنما هي ترتد في النهاية، إلى تصورات المجمتمع إذ انها من وضع العقل الجمعي.يشهد بهذا تاريخ العلم حيث يبين لنا اختلاف هذه في كل فترة من فترات التاريخ، فما يسود لدينا الآن من مبادئ يختلف دون شك عن تلك التي كانت سائدة لدى الإنسان البدائى مثلاً مما يؤكد أن هذه ليست المبادئ ثابتة غير متغيرة كما أكد العقليون الفلاسفة ولذلك فإن هذه المدرسة أرادت للفلسفة أن تكون علماً وضعياً تنحصر وظيفته في دراسة الظواهر الفلسفية التي توجد عند جماعة بشرية يحدها زمان معين ومكان محدد.

«المنهج» وتستخدم هذه الدراسة المنهج الاستقرائى التجربة المستخدم في العلوم الطبيبعية، وهو المنهج الذي أرادت هذه المدرسة الوضعية منهجاً للعلوم الاجتماعية كلها.ذلك أن الاكتشافات الباهرة التي حققها علم الطبيعة في العصر الحديث هذا العلم في الإمداد بالأدوات التي تزيد من رفاهية الإنسانية، وكل ذلك جعل أتباع هذه المدرسة ينشدون تطبيق المنهج التجريبى المستخدم في العلوم الطبيعية وفي الفلسفة وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم الإنسانية الأخرى عساها ان تحقق ما أحرزته العلوم الطبيعية من نجاح وازدهار[[1]](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D9%87_%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B6%D8%B9%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A_(%D9%85%D8%AF%D8%B1%D8%B3%D8%A9_%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D9%8A%D8%A9)#cite_note-1) ومن ثم جاءت هذه المدرسة ثورة عارمة على الفلسفة القبلية الميتافزيقية التي نادت بوجود مبادئ قبلية سايقة على التجربة الحسية، ولذلك فإنها أنكرت كل تفكير ميتافزيقي، واستبعدت البحث في العلل البعيدة ورأت ان البحث لا ينبغي أن يتعدى دراسة الواقع المحسوس دراسة قائمة على التجربة والاستقراء.ومن ثم كانت الحقائق-عند أصحاب هذا الاتجاه الفلسفي-حقائق جزئية نسبية متغيرة، وليست كلية مطلقة كما زعم أصحاب الاتجاهات العقلية من الفلاسفة.

وقد رأى كونت أن الوضعية تمثل الأساس الذي يجب أن ترتكز عليه كل محاولات التنظيم الاجتماعي للقضاء على الفوضى الاجتماعية، التي تتمثل في الحركات النقدية، التي كانت توجد في أوروبا في عصره من وجهة نظره، ولفظ الوضعية يعني الإيجابية أو اتخاذ موقف إيجابي ممّا هو قائم في المجتمع وليس موقفاً نقدياً أو رفضاً أو سلباً لهذه الأوضاع القائمة كما يفعل المفكرون النقديون.

التعريف بالفلسفة الوضعية الفلسفة الوضعية "positivism" هي فرع من فروع الإبستمولوجيا (نظرية المعرفة) التي نشأت في القرن الثامن عشر، وكانت تيارًا نقيضًا لعلوم اللاهوت والميتافيزيقا اللذين يعتمدان على المعارف الإيمانية والاعتقادية غير التجريبية، لذلك كان المنهج التجريبي الاستقرائي هو المنهج الذي اتبعه الفلاسفة الوضعيون، لذلك رأت الفلسفة الوضعية أن البحث الفلسفي لا يجوز أن يتعدى ما هو محسوس ومادي، وكان لهذه الأفكار جذور في الفلسفة اليونانية.[2] لكن فرنسيس بيكون وهو فيلسوف حديث نادى بالأورغانون الجديد، وكانت له إرهاصات فلسفية وضعية، فقد كان هذا التطور في التيارات الفلسفية نتيجة لتقدم العلوم الطبيعة، وانفصالها عن الفلسفة، فلا يجوز ان تتقدم العلوم الطبيعية والتجريبية في حين تظل الفلسفة تدرس الميتافيزيقا والأنطولوجيا (علم الوجود).[3] لذلك نادوا بالتطور الحتمي للفلسفة، كما أن الكنيسة الأوروبية كانت مسيطرة بأفكارها اللاهوتية على الفلسفة، واختلط الأوروبيون بالحضارة العربية وأفادوا من العلوم العربية، وإنجازاتهم، وهذه الأسباب دفعت الفلاسفة إلى إعادة النظر في البحوث الفلسفية.[4] في ذات الوقت بدأ التشريع لظهور تيارات أكدت على قدرة العقل البشري على التأسيس للمعرفة من خلال الاستقراء، وعرفت التيارات التي نادت بقدرة الإنسان على التفكير لوحده دون أي سلطة خارجية، بالتيارات المستنيرة، نسبةً إلى فلسفة عصر التنوير.[5] مؤسس الفلسفة الوضعية يعد الفيلسوف وعالم الاجتماع أوغست كونت مؤسس الفلسفة الوضعية، في القرن التاسع عشر، عاش في الفترة (1798-1857م) وقد وضع مصطلح الوضعية على أساس افتراضه الذي مفاده أن العالم سيصل إلى مرحلة متقدمة جدًا من الثقافة والفكر، ستجعله قادرًا على نفي كل الأفكار الدينية والميتافيزيقية التي سيطرة على المعرفة البشرية، وجعلتها تحيد عن المنهج التجريبي، والمعرفة التي ستصمد أمام الاختبار هي فقط المعارف العلمية المنهجية التي تعتمد على الحس والتجربة.[٢] كان لأوغست كونت إنجازات وبحوث أكاديمية ضخمة جدًا.[١]

**منهج الفلسفة الوضعية:** وظفت الفلسفة الوضعية المنهج العلمي الاستقرائي الذي لا يعتمد على التأمل المحض، بل يعتمد على التجربة العلمية، وتجدر الإشارة إلى أن الفضل في علمية علم الاجتماع يرجع إلى أوغست كونت، فما أراد كونت تحقيقه هو الوصول بالعلوم الإنسانية وخاصة علم الاجتماع والفلسفة إلى نفس مستوى علمية العلوم الطبيعية، وتحقيق ازدهار معرفي يوازي الازدهار الذي تم تحقيقه في العلوم الطبيعية.[٣] طرح أوغست كونت أغلب أفكاره الوضعية في كتابيه "مذهب في السياسة الوضعية"، و"دروس في الفلسفة الوضعية" وكلاهما يعدان من الأعمال الموسوعية التي تقع في عدة مجلدات، وكان يكتب بالتفصيل عن كيفية إضفاء المنهج العلمي الوضعي على مختلف الميادين الاجتماعية الإنسانية، فقد اقترح مثًلا أن يكون هنالك فصل واضح المعالم بين السلطتين الدينية والزمنية، فعلى السلطة الدينية ألا تتدخل في السلطة الزمنية وهي السلطة الخاصة بشؤون الحياة اليومية.[١]

**منهج البحث عند أوغست كونت:**

* تتلخص قواعد المنهج عند كونت في الملاحظة والتجربة والمنهج المقارن ثم ما يسميه كونت بالمنهج التاريخي وسنتعرض في الآتي لكل منها :
* 1- الملاحظة : المقصود بالملاحظة ليس مجرد الإدراك المباشر للظواهر ولكن هناك وسائل أخرى مثل دراسة العادات والتقاليد والآثار ومظاهر الفنون الأخرى وتحليل ومقارنة اللغات والوقوف على الوثائق والخبرات التاريخية ودراسة التشريعات والنظم السياسية والاقتصادية وما إليها.
* والملاحظة الاجتماعية ليست سهلة وذلك لطبيعة تداخلها وكذا لأن الفرد يشارك فيها بدرجة أو بأخرى ، لذا يجب النظر إلى الحقائق الاجتماعية على أنها موضوعات منعزلة عنا وخارجة عن ذاتنا ومنفصلة عن شعورنا حتى نستطيع أن نصل من وراء الملاحظة الاجتماعية إلى نتائج أقرب إلى حقائق الأمور ، وهو يرى أن الملاحظة أو استخدام الحواس الفيزيائية يمكن تنفيذها بنجاح إذا وجهت عن طريق نظرية.
* 2- التجربة : يقصد بها التجربة الاجتماعية حيث يمكن مقارنة ظاهرتين متشابهتين في كل شيء ومختلفتين في شيء واحد.
* 3- المنهج المقارن : وهو يرى أن المقارنة الاجتماعية بالمعنى الصحيح تقوم على مقارنة المجتمعات الإنسانية بعضها ببعض للوقوف على أوجه الشبه وأوجه التباين بينها.
* 4- المنهج التاريخي : ويسميه كونت بالمنهج السامي ويقصد به المنهج الذي يكشف عن القوانين الأساسية التي تحكم التطور الاجتماعي للجنس البشري باعتبار هذا الجنس وحدة واحدة تنتقل من مرحلة إلى أخرى أرقى منها.
* لقد ميز كونت علم الاجتماع عن الفلسفة السياسية بإصراره على أن الاستقصاءات السوسيولوجية لابد وأن تعتمد على المناهج الوضعية أو الموضوعية في الملاحظة والتجريب والمقارنة المميزة للعلوم الطبيعية ، كما أن تطبيق المعرفة العلمية عن المجتمع جديرة بأن تقدم أكبر تقدم في المجتمع الإنساني ، ولقد جاهد كونت وكتب كثيرا دفاعا عن الموقف الوضعي بالنسبة لدراسة المجتمع ولذلك أصبحت الوضعية مقترنة بكونت تاريخيا ، إلا أنه لم يمارس عمليا ما كان ينادى به حيث أنه لم يقم بدراسات يستخدم فيها طرق البحث الاجتماعي فلا نزاع في أنه أول من عرف علم الاجتماع بأنه الدراسة الواقعية المنظمة للظواهر الاجتماعية.

**المذهب الوضعي وقانون المراحل الثلاث عند أوغست كونت :**

كان كونت يطمح في حياته إلى تنظيم المجتمع من جديد بطريقة تكون ذات فائدة مستمرة بالنسبة لجميع طبقات الشعب ، وتكفل السلام الكلي بين الأمم ، وتبدأ الصراعات الاقتصادية داخل كل أمة ، وتضمن للجميع حياة كريمة شريط أن يقوموا بدورهم ، ويساندون تقدم العلوم والثقافة بكل وسيلة . والوصول المناسب لهذه الفلسفة هو النظر إلى كونت على أنه مصلح اجتماعي . وكان يرى في تفكيره المبكر أن الإصلاح الاجتماعي يحدث أساسا عن طريق تطوير العلوم وتطبيقها عمليا على أساس وضعي . وتلك هي وجهة نظر الفلسفة الوضعية . ويتضمن ذلك التنظيم الجديد في كتابه الجديد " السياسة الوضعية " التأكيد على الأخلاق والدين كما يتصورهما

**مبادئ الذهب الوضعي :**

يرى كونت أن الفوضى والأزمات الاجتماعية تظل قائمة طالما استمر النزاع بين المذاهب اللاهوتي (الإقطاعية) و المذهب الميتافيزيقي ( عصر التنوير) ولن يتحقق النظام إلا بالقضاء عليهما معا ، وإحلال المذهب الوضعي محلهما ، لكن يؤكد على أنه لا ينبغي و الاندفاع في تحقيق هذا النظام الجديد .

ويرى أن بظهور هذا المذهب العظيم سوف يسود الاستقرار وتختفي جميع الخلافات والتناقضات الموجودة داخل المجتمع ، لكون هذا المذهب الجديد يتمتع " بترابط واتساق منطقي تام " لاعتماده على الوحدة الفكرية " الإجماع العام " حول القيم الأخلاقية التي يجب أن تسود .[[5]](file:///D:\\%D8%A8%D8%AD%D9%88%D8%AB%20%D9%85%D8%AF%D8%AE%D9%84%20%D8%A7%D9%84%D9%89%20%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%85%D8%A9\\%D8%A7%20%D9%83%D9%88%D9%86%D8%AA%20%D8%AF4.doc" \l "_ftn5" \o ")

تكمن إسهامات كونت الأكثر أهمية في قانون المراحل الثلاث وتصنيف العلوم . ويسلم كل واحد تقريبا بأن تلك الإسهامات تحتوي على قدر معين من الحقيقة . إنه على حق في تأكيده أن الجهد الصحيح لعلم ما يجب أن يكون الكشف عن قوانين الظواهر ، وليس البحث عن جواهر ليست في المتناول ، أو عن ماهيات وعلل . ويستحق الثناء أيضا لأنه رأى أن من المهام الرئيسية للفيلسوف ، على الأقل ، أن يكشف عن المناهج المشتركة بين العلوم المختلفة ،وتنظيم نتائجها في نوع ما من المركب . وتصبح تلك المهمة صعبة بصورة متزايدة مع تعقد العلوم الذي يزداد ، غير أنها مهمة مرغوب فيها .

ويستحق كونت الثناء أيضا لأنه أخذ الفلسفة بجدية ، لأنه يتصور أن رسالتها تتمثل في بيان ما يمكن ، وما يجب القيام به ، في ضوء العلم ، في توجيه الإصلاح الاجتماعي . وهنا يكون المتخصصون في العلوم المختلفة أكثر مقدرة عن البحث في التفاصيل ، وتبقى مهمة الفيلسوف وهي أن يبحث عن رؤية أكثر تركيبا ، من الرؤية التي يقدمها المتخصصون .

**خاتمة:**وخلاصة القول، اهتمت الوضعية عند أوجست كونت بدراسة الظواهر النسبية غير المطلقة، بالتوقف عند العلاقات الثابتة بين الوقائع والظواهر، في إطار ترابطها السببي، بغية استخلاص قوانينها وقواعدها النظرية والتطبيقية. ومن ثم، يمكن القول بأن أوجست كونت يعد من أهم مؤسسي علم الاجتماع الوضعي، ومن السباقين إلى الأخذ بمنهج التفسير في دراسة الظواهر المجتمعية، بتمثل منهجية الفيزياء والبيولوجيا والفيزيولوجيا والكيمياء في التعاطي مع الظواهر المادية، مع الاعتماد على مجموعة من الخطوات العلمية، مثل: الملاحظة، والتجربة، والمقارنة، والتاريخ.

**قائمة المصادر و المراجع :**

سعد عبد العزيز حباتر، نماذج من الفكر المعاصر، [جامعة عين شمس](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D8%A7%D9%85%D8%B9%D8%A9_%D8%B9%D9%8A%D9%86_%D8%B4%D9%85%D8%B3)،القاهرة، 2011،ص 44

إلهام محمد شاهين ، الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت وأسباب ظهورها، صفحة 651-680.

"Auguste Comte", Britannica, Retrieved 20/1/2022. Edited.

الطاهر مولف، العقل الوضعي عند اوغست كونت، ص 2.

الموسوعة الحرة "ويبيكيديا"

 محاضرة : مقياس إلى مدخل علم الاجتماع . جامعة فرحات عباس – سطيف - 2010/2011 ، ص 17 .

علم الاجتماع, د.عبدالحميد لطفي, مكتبة القاهرة الحديثة.

علم الاجتماع المعاصر, د.غريب أحمد سيد, دار المعرفة الجامعية.

أسس علم الاجتماع, د.محمود عوة, دار النهضة العربية.

النظريات الاجتماعية, محمد فؤاد حجازي, مكتبة وهبة

مذاهب فكرية معاصرة - عرض ونقد - ، للدكتور محمود مزروعة ، ص 231-255